"مَنْ لا يُرِيدُ أنْ يَعمَلَ، لا يَحِقُّ لَه أنْ يأكُلَ" (٢ تسا ٣: ١٠)

مقدمة

تنتهي الرسالة الثانية الى التسالونيكيين بمقطعين (٣: ٦-١٢ و ١٣-١٥) يرتبطان ببعضهما من حيث الموضوع، ويشكلان في الوقت عينه خاتمة تعاليم الرسالة. فيهما يعطي الرسول جوهر توصياته:

"٦ونوصيكُم، أيُّها الإخوَةُ، باسمِ الرَّبِّ يَسوعَ المسيحِ أنْ تَتجَنَّبوا كُلَّ أخٍ بَطّالٍ يُخالِفُ التَّعاليمَ الّتي أخَذتُموها عنّا. ٧فأنتُم تَعرِفونَ كيفَ يَجِبُ أنْ تَقتَدوا بِنا. فما كُنّا بَطّالينَ حينَ أقَمْنا بَينَكُم، ٨ولا أكَلْنا الخُبزَ مِنْ أحَدٍ مجّانًا، بَلْ عَمِلْنا لَيلاً ونَهارًا بِتعَبٍ وكَدٍّ حتّى لا نُثَقِّلَ على أحدٍ مِنكُم، ٩لا لأنَّهُ لا حَقَّ لنا في ذلِكَ، بَلْ لِنكونَ لكُم قُدوَةً تَقتَدونَ بِها. ١٠ولما كُنّا عِندَكُم أعطيناكُم هذِهِ الوَصِيَّةَ: مَنْ لا يُريدُ أنْ يَعمَلَ، لا يَحِقُّ لَه أنْ يأكُلَ.

١١نَقولُ هذا لأنَّنا سَمِعنا أنَّ بَينَكُم بَطّالينَ ولا شُغلَ لهُم سِوى التَّشاغُلِ بِما لا نَفعَ فيهِ.

١٢فهَؤُلاءِ نوصيهِم ونُناشِدُهُم في الرَّبِّ يَسوعَ أنْ يَشتَغِلوا بِهُدوءٍ ويأكلوا مِنْ خُبْزِهِم.

١٣أمَّا أنتُم، أيُّها الإخوَةُ، فلا تَمَلُّوا مِنْ عَمَلِ الخَيرِ. ١٤وإذا كانَ بَينَكُم مَنْ لا يُطيعُ كلامَنا في هذِهِ الرِّسالَةِ، فلاحِظوهُ وتَجَنَّبوهُ لِيَخجَلَ. ١٥ولا تُعامِلوهُ كعَدوٍّ، بَلِ انصَحوهُ كأخٍ."

يشكّل هذا النص تتمّة للمقطع الاسكاتولوجي السابق (٢: ١-١٤)، الذي يتوسّع في مسألة مجيء الرب، وكيفيّة انتظاره بحيث نفهم أن الفوضى التي يشجبها الكاتب متأتية من الفهم المغلوط لانتظار هذا المجيء. فربما يكون البعض قد فهموا بأن مجيء المسيح القريب يسمح لهم، بل يتطلّب منهم التخلّي عن أعمالهم العادية، وعن انشغالاتهم بربح عيشهم الكريم، للتفرّغ للأشياء الأكثر "روحانية". يصف بولس الوضع بالفوضى أو "ما لا نفع فيه"، مظهراً ما يترتّب عن عدم فهم مجيء الأخيري من مشاكل اجتماعيّ وأخلاقيّة. ففي معرض كلامه عن "البطّالين" — وهي ربما العبارة الأساس في النص- يحدد الرسول تعليمه عن أخلاقية العمل، قبل أن يطرح بعض الأسس المتعلّقة بالموقف تجاه رافضيها.

فماذا يريد الرسول أن يقول؟ وأي أخلاقيّة يريد تأكيدها بما يخصّ العمل الإنساني؟ وما هو رأي العهد الجديد بهذا الأمر؟

ليست مسألة العمل وكيفيّة فهمه جديدة في الكتاب المقدس. فمنذ الصفحة الأولى من سفر التكوين، نرى الله يعمل: يخلق، يراقب، يأمر، يدعو، يبارك ويعطي عملاً لكل خليقة من خليقته. ومنذ البدء أراد الله أن يكون البشر وكلاء الأرض وما تحويه. أوصاهم بالعمل "ليحرثوا الأرض ويحرسوها" (تك ٢: ١٥)، فكان الانسان منذ البدء فلاّحًا وحارسًا، قبل أن يعهد إليه خالقه عملاً فكريًا، طالبًا منه أن يسمّي الحيوانات.

كان العمل في البدء إذًا نعمة الله للإنسان، وثقة منه بخليقته صورته ومثاله. لكن هذه النعمة سرعان ما تحوّلت سبب تعب وشقاء، فرأى فيه الانسان نقمة وقصاصًا، بدلاً من كونه عنوانًا للسلطة الإلهية الموكولة إليه.

فهل العمل نعمة أم نقمة؟ هل هو واجب إلهي، وعنوان للسلطة التي منحها الله للإنسان، أم هو شقاء يتحمّله الانسان؟ هل هو ضرورة لإكمال الخلق وإنماء الأرض، أم هو تشاغل بما لا نفع فيه، قادر أن يتحوّل الى صنم يكرّس الانسان له ذاته؟ وهل المطلوب من المؤمن أن يتبع وصية بولس " مَنْ لا يُرِيدُ أنْ يَعمَلَ، لا يَحِقُّ لَه أنْ يأكُلَّ"، إستنادًا الى قول يسوع "أبي يعمل وأنا أعمل أيضًا" (يو ٥: ١٧؛ ٩: ٤)؟ أم المطلوب التجرّد عن العمل، متكلين على تأكيد الرب بأن الآب يعرف كيف يهتم بأولاده، هو الذي يهتم بالطيور والزنابق (مت ٢٥: ٣٤)، خاصة وأن مواجهة الرب قريبة، "وما أعددناه لمن يكون؟" (لو ١٢: ١٦-٢١).

مَنْ لا يُرِيدُ أنْ يَعمَلَ، لا يَحِقُّ لَه أنْ يأكُلّ (٢تس ٣: ١٠)

تقع هذه الآية ضمن مقطع لا يمكن الشك بوحدته، يشدد فيه الكاتب على ضرورة عيش حياة منظّمة "غير بطّالة" (آ ٦، ٧، ١١).

تبدأ الآية بفعل "paraggello ناشد" تتبعه عبارة "باسم ربنا يسوع المسيح" (رج ١: ١٢)، يستعيدها الكاتب أيضًا في آ ١٠ و ١٢، مما يعطي هذا الفعل قوة خاصة وكأن الرسول يضع كل سلطته في هذه التوصية. يشدد بولس على "تجنّب stello" البطّالين، وهو فعل نقرأه أيضًا في ٢ كور ٨: ٢٠، ويأتي هنا بمعنى "الابتعاد عن" و"عَدم مساندة هؤلاء البطّالين" "ataktos peripatountos" و"عدم تأييدهم" (رج آ ١١؛ ٧ ؛ ١ تسا ٥: ١٤ في معرض الكلام عن الفوضويين). فالموضوع الذي يشجبه الرسول هو إذًا فوضى في الحياة، وعدم تنظيم في القيام بالواجب. فهل كان هناك من يتخلّى عن إرادة الرب عليه ليعمل ما لا يُطلب منه؟

رأى بعض الشرّاح في هذا النص كلامًا عن الكسل، وهو ما يستبعده الفعل "انهمك، تشاغل periegazomai" في آ ١١، على عكس ما علّم بولس (رج ١ تس ٢: ١٣؛ ٤: ١). ملاحظة: في الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين نقرأ تعليمًا يتعلق بضرورة العمل اليدوي و"العيش عيشة هانئة... وكسب العيش بعرق الجبين" (١ تسا ٤: ٩-١٢)، وهو ما يبدو أن التسالونيكيين لم يلتزموا به تمامًا فتدهورت الأحوال وكانت هذه الرسالة الثانية أبعد من الكلام عن الكسل، من الواضح أن المقصود هو شجب إهمال الواجب، وطلب "العمل بهدوء" (آ ٨-١٠).

لكي يوضح مبتغاه، يعيد الرسول قراءة حياته الخاصة ليقدّمها قدوة لقرّائه[1]. أما كيف تصرّف بينهم فواضح تمامًا: لم يكن "فوضويًا atakteo"، متهرّبًا من واجباته، ولا عالة على أحد، بل أكل خبزه بعرق

[1] طالما أعطى بولس من تصرّفه، المبني على الإقتداء بتصرّف الرب، قدوة. رج ١ تس ١: ٦؛ ١ كور ٤: ١٦؛ ١١: ١ي؛ فيل ٢: ٥؛ ٣: ١٧؛ ٤: ٨ ي). ومن الواضح أن التسالونيكيين قد اعتادوا ذلك منه "تعرفون كيف يجب أن تقتدوا بنا"

جبينه "ليلاً نهارًا، بالتعب والكد" (آ ٨؛ رج ١ تس ٢: ٩). ومع أنه كان يحق له الإفادة من كونه رسولاً، وكان قادرًا على القيام بذلك (رج ١ كور ٩: ٤، ٦، ١٢)، فقد كان قدوة تحتذى، ليس بالتجرّد عن حقّه، بل في تصميمه على العمل لتأمين عيشه.

على مثال يسوع عاش بولس؟

اختار يسوع تلاميذه من العمّال، وقد قضى سنوات عديدة في العمل اليدوي كنجّار، قبل تفرّغه الكامل للبشارة (مر ٦: ٣؛ أع ١٨: ٣؛ ٢٠: ٣٤؛ ١ تس ٢: ٩). بالعمل عاش، ورافق البشر دون أن يكفّ لحظة واحدة عن كونه ابن الله. عاش في حياته الأرضية "إنجيل العمل" فكان نجارًا (مر ٦: ٣) "ابن نجّار" (مت ١٣: ٥٥)؛ وفي تعليمه أخذ أمثالاً من واقع الحياة العملية في الزراعة (خرج الزارع ليزرع)، ورعاية الماشية (الخروف الضال، والراعي الصالح)، والبناء (البيت المبني على الصخر، والبيت المبني على الصخر)، والعمل المنزلي (المرأة التي أضاعت الدرهم)، والقضاء (المرأة والقاضي)، ألخ.

وعندما سألوه عن هويّتنا "إلى متى تحيّرنا؟ إن كنت المسيح فقله لنا صراحة". فأجابهم يسوع: "قلته لكم لكنكم لا تؤمنون. إن الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي". وعندما أرادوا رجمه قال لهم "أريتكم كثيرًا من الأعمال الحسنة باسم أبي، فلأي منها ترجموني؟... إذا كنت لا أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني، وإذا كنت أعملها فصدّقوا هذه الأعمال إن لم تصدّقوني". (يو ١٠: ٢٤-٣٨). لم يجب يسوع بمحاضرة لاهوتية تثبت مسيحانيته، بل شرح جوهر عمله. فهو المسيح بناء على ما حققه من أعمال تعطي حياة.

وقد اقتدى بولس بمعلّمه الفرّيسي الذي اهتدى إلى المسيح، فعمل على تحصيل معيشته وتحصيل رزقه (١ كور ٩: ٦). ما أن وصل إلى كورنتس حتى اختار العمل مع برسكيلا وأكيلا اللذين كانا يمتهنان مهنته في نسج الخيام، إلى جانب عملهم التبشيري، عمل عندهما ومعهما، فكانا مساعديه (رو ١٦: ٣).

إن ابن الله يعمل عمل أبيه في كل تصرفاته[٢]، والمؤمن بيسوع يعمل باسم يسوع وعلى مثاله "كل ما تفعلونه بالقول والعمل، اعملوه باسم الرب يسوع، ممجّدين به الله الآب" (كول ٣: ١٧؛ ١ كور ١٠: ٣١). فأن يكون العامل مسيحيًا لا يغيّر شيئًا بهذا العمل، لكن المسيحي يعمل عمله كابن لله فلا يكون عمله "بلا ثمر" (تيط ٣: ١٤)، يعمل بفرح ومن كل قلبه لأنه يعمل للرب ولكي يستطيع أن يعطي من هم بحاجة[٣].

مشكلة البطّالين (٢ تس ٣: ٦-١٢)

[٢] رج رو ١٣: ١١؛ ١كور ٦: ٢٠؛ ٢كور ٥: ١٥؛ أف ٤: ٢٨؛ ٥: ١، ٨، ٨، ١٥-١٦.

[٣] رج أع ٢٠: ٣٤؛ أف ٤: ٢٨؛ ١ تس ٤: ١١؛ ٢ تس ٣: ٦-١٥.

بعد شهادة حياته، يعود بولس إلى صلب أخلاقية العمل الإنساني، فيبرز قيمته دون أن يجعل منه القيمة الأولى المطلقة.

لم يكن للعمّال الحرفيين قيمة كبيرة في المجتمع اليوناني، فكانوا مستبعدين من الطبقات الأرستقراطية والمثقّفة. لكنهم من ناحية أخرى كانوا أساس الدور الاقتصادي في المجتمع. أما في الأخلاقية المسيحية فقد كان العمل من المواضيع الأساسية، على ما كان الحال في المجتمع اليهودي. فهل كان وضع أهل تسالونيكي عودة إلى الحضارة الهللينية المتكابرة، وعدم التزام عملي بالمسيحية؟

يعلن بولس بوضوح: سمعنا أن بينكم بطّالين (فوضويين) لا يشتغلون بل يتشاغلون

Meden ergazpmenous alla
periergazomenous

بمعنى أنهم، يكثرون من الهمّ بما لا يهم، وبالتالي بتشاغل باطل بدل العمل الفاعل[٤]. وبما أن الإطار هو مجيء الرب المرتقب، لا يمكننا إلا وأن نربط الفكرة بما يليها من طلب بـ"العمل بهدوء"، أي العمل العادي الهانئ دون اضطراب، ولا تشاغل باطل. هنا تأتي آ ١٢ لتطلب من هؤلاء أن "يأكلوا خبزهم (الخاص) من عملهم (الهادئ). أي أن يحصلوا على عيشهم الكريم بعملهم، دون أن يكونوا بحاجة الى أحد (رج أف ٤: ٢٨). مما يطرح مسألتين مرتبطتين تماماً: انتظار المجيء، والعمل الفاعل الجدّي.

عاش المسيحيّون في الجماعة الأولى مشكلة جوهريّة في تمييز المطلوب منهم بانتظار مجيء الرب. تساءَلوا عن المطلوب الأول في زمن الانتظار هذا، وكيفيّة عيش هذا الزمن. منهم من اقتنع بأن المطلوب هو التخلّي عن كل ما هو مادي والتفرّغ للبشارة؛ ومنهم من اعتبر بأن عيش البشارة لا يلغي "واجب العمل"؛ ومنهم من اضطرب وعاش في همّ وفوضى لا يدري ماذا يفعل؟ هذا ما تعكسه وصيّة بولس، وهو ما عكسه أيضاً العديد من نصوص العهد الجديد.

---

[٤] أو ربما تدخّل بأشغال الغير، وهو ما نقرأه في ١ تسا ٤: ١١ "أنشغلوا بما يعنيكم".

أيها العبد الكسلان (مت ٢٥: ٢٦)

نجد في نهاية الإنجيل بحسب القديس متى ثلاثة أمثال، القاسم المشترك بينها هو موضوع العمل في غياب السيد. ففي حين يتمحور المثل الأول حول العمل داخل البيت، يدور الثاني حول العمل على انتظار العريس، فيما يتركز الثالث حول العمل خارج البيت السيّدي.

يتكلم يسوع في هذه الأمثال، عن ملكوت السموات (٢٥: ١)، مشبّهًا إياه بعالم العمل اليومي. إطار المثل الثالث هو، حديث عن رجل يبدو على شيء من الغنى، أراد أن يسافر فأوكل أملاكه لخدّامه (عبيده). إنطلق من مبدأ المشاركة بالربح، فطلب من الخدّام إدارة الأملاك كما يجب أثناء غيابه. غريب أمره! وضع ثقته الكاملة بهؤلاء الخدّام، مراهنًا على إثارته فيهم الرغبة والشجاعة للقيام بكل ما هو بمقدورهم من أجل النجاح. وغريب أمره لأنه لم يساوِ في العطايا، ولم يتوقّف على ما يمكن أن يولّد فيهم من مشاعر الكبرياء من جهة، والحسد والكراهية من جهة ثانية.

بيد أن هذا السيّد يبدو عالما بأمر خدّامه جيّدًا، وعارفًا مقدرة كلّ منهم. أعطى بحكمته، خمس وزنات للأول، واثنتين للثاني، ووزنة واحدة للثالث. في أثناء غيابه، جعل من كل من خدّامه وكيلاً على قسم من أعماله الخاصة، كلّ بحسب قدرته، فلم يُلزِم بخمس وزنات من لا يمكنه تحمّل سوى واحدة؛ ولا وكّل وزنة واحدة، لمن له القدرة على إدارة اثنتين.

بدأ الخدّام بالعمل، كلٌّ على طريقته (مت ٢٥: ١٦، ١٧). ظهرت أمانة الأول والثاني بأنهما بدءا عملهما مباشرة، في أملاك سيدهما. أظهرا الأمانة عينها في عملهما، بما أنهما ربحا كلاهما ١٠٠%، ومع أن الأمانة عينها لم تعطِ النتيجة عينها بما أن الأول ربح خمس وزنات فيما ربح الثاني وزنيتن. أتت المكافأة على مقدار الأمانة والنشاط اللذين أظهرهما كلٌ بحسب إمكانياته وأمانته؟

بعد الخادمين الأولين، يأتي الثالث الذي يصفه السيّد "بالشرّير الكسول عديم النفع".

تصرّف هذا الأخير كمن لا يعنيه أمر هذا السيّد وأمر أملاكه، فما كان منه إلا أن "دفن مال سيّده". دفن ما أعطاه إياه الرب فوجد ذاته دون وزنة، ووضع ذاته في موضع من لم يحصل على شيء.

هو عبد بطّال لأن "العمل ليس باطلاً بالرب" (١ كور ١٥:٥٨). كسل هذا العبد ليس مجرّد كسل، بل هو إبطال للدور الذي أراده له الله في إنماء ملكوته. الوزنات التي أوكلها الرب للإنسان لا تخصّه وحده، لقد تلقّاها، وعليه تقديم حساب عن استثماره لها. حياة الإنسان وقدراته وطريقة تصرّفه وعمله... كلها عطايا من الله، هي عمل دؤوب لا يُسمح بموجبه لأحد أن يضيعها. الوظائف البشرية والأعمال اليومية ليست مجرّد ملء للوقت بانتظار السيّد، إنها بالأحرى واجب ورسالة، تحمل معناها بذاتها لأنها موجّهة نحو الأبدية، وهي مسؤوليّة في تحقيق ملكوت الله. إن انتظار للرب الآتي، يعطي العمل البشري جدّية وقيمة غير محدودة، لأنه عربون أمانة لمن أوكل الإنسان بخيراته، بانتظار استردادها مع ثمارها.

ولكن هل يشكّل العمل قيمة مطلقة تبرّر العاملين ليل نهار لنجاح أعمالهم ومصالحهم؟ وكيف نفهم إذًا ضرورة التفرّغ لـ"المطلوب الواحد"، دون حمل همّ المأكل والملبس؟

لا يهمّكم للعيش ما تأكلون (مت ٦: ١٩-٣٤) ... المطلوب واحد (لو ١٠ :٤٢)

المال، هم كسب المعيشة، ضمان الغد، كلّها هموم مشروعة. وقد عرف يسوع ذلك هو الذي عاش في عائلة، وفي قرية مارس فيها عملاً. عرف أيضاً أنه يمكن لهذه الاهتمامات أن تتحوّل إلى همّ ينسي الإنسان معنى حياته الحقيقي وهدفها الأساسي، إلى درجة تغييب الأبديّة.

من تعليمه، حذّر يسوع من خطر تأليه المال والكنوز، وربما إلى ضرورة الاستسلام للعناية الإلهيّة: "لا يهمّكم للعيش ما تأكلون..." (مت ٦:١٩-٣٤)، والالتزام بما يجب القيام به "أكنزوا لكم كنوزاً في السماء...، اعملوا أولاً للملكوت وللحق".

من الطبيعي أن يتعب الإنسان ويكد لتجميع كنوز أرضية، من كل نوع وصنف مال وأملاك وضمانات. لكن السؤال يبقى: ماذا تفعل أيها الإنسان لعيش الأمانة لله وللانتباه الدائم لحضوره ولتحقيق إرادته؟ هل تضع في ذلك الجهد عينه الذي تكرّسه للكنوز الأرضيّة؟ أو أنت تنتظر الاطمئنان التام إلى ضمان حياتك الأرضيّة كي تبدأ الاهتمام بالله؟ وعندها؟ هل سيكون لك الوقت لذلك؟ إن البحث عن خيرات هذا العالم لن تترك لك لا الوقت ولا الصحّة ولا القلب. انتبه إذًا لأنه "حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك".

التشاغل أو الهم الزائد بالشغل، هو ما يذكره لوقا في كلامه عن زيارة يسوع لمرتا وأختها مريم: "تهتمين بأمور كثيرة والمطلوب واحد".

ما هي تلك الأمور؟ وما هو المطلوب الواحد؟ هل صحيح أن المقصود هو المقابلة بين الأعمال اليومية التي تشغلنا عن الصلاة المطلوب الأوحد؟ وهل تشكّل مرتا مثالاً لمن يتوق إلى حياة عملية تشغل ساعات حياته، في حين تمثّل مريم مثال من يصبو إلى الحياة النسكية التأملية؟

صورة مبسّطة كهذه، لا تمكّننا من فهم موقف يسوع تجاه مرتا. ففي هذا الإطار، يجيز لنا قوله "اختارت مريم النصيب الأفضل الذي لا ينزع منها" أن نفهم بأن مرتا اختارت نصيبًا سيُنزع منها. وكأن يسوع قد صار طرفًا في نزاع بين الأختين، متناسيًا الوليمة التي أعدّتها مرتا له ولأصحابه. هذا ما يمكّن المتمسكين بصورة مرتا من الردّ "إن كان الإنسان لا يحيا بالخبز فقط بل بكلمة الله"، فهو بالتأكيد غير قادر على العيش "بكلمة الله وحدها". وفي كل الأحوال، يسوع هو من قال وكرّر مرارًا "ليس من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل إرادة أبي الذي في السماوات" (مت ٧: ٢١).

هنا أيضًا، نعود الى ٢تس ٣: ٦-١٥، للقول بأن المقصود ليس الشغل بل التشاغل. ليس العمل، بل الهم الذي يعمي البصيرة عن الأهم "مرتا مرتا، تهتمين بأمور عديدة والمطلوب واحد". لام الرب مرتا، ليس لعملها بل لهمّها الذي أخذ مكان المطلوب الأوحد.

كان عمل مرتا هو ما استقطب كل اهتمامها، فصار هو الأول والآخر، حتى أنساها لماذا تشتغل. تكمن قيمة العمل في معناه "لماذا أعمل ولمن؟". فأبعد من نجاح العمل والطموح، تبقى المحبة جوهر معناه. فإن فقد الإنسان معنى العمل وهدفه، سيقع في خطر الاختناق تحت ضغط واجبات هذا العمل

الذي لا ينتهي. عندما أضاعت مرتا هدف خدمتها، صار عملها همًا وانشغالاً، أوقعها في التأفف والشكوى: "أخدم وحدي"، وفي الحكم على الغير. إن في فقدان معنى الخدمة والعمل ضياع للفرح وللسلام الداخلي.

بين الإهتمام والتأفف، وبين سماع كلمة الرب بهدوء، من السهل تمييز النصيب الأفضل. فالمقصود إذًا ليس المقابلة بين العمل والتفرّغ للصلاة، بل التحذير من فقدان المعنى الذي يحوّل عملنا الى عبودية، وغرق في المادية الباطلة. إن الخيرات الأرضيّة تمتلك نظرتنا للأمور فتمنعنا من تمييز الأمور وإعطاء كل أمر حق قدره. هذا الخطر ليس خطراً خياليّاً "فلا أحد يمكنه أن يخدم سيّدين، لأنّه إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ" (لو ١٦: ١٣). إن خطر الاستعباد والعمى وارد دائماً، ليس فقط عندما يتعلّق الأمر بالثروات الكبيرة، بل أيضاً بالمصالح الصغيرة، والخيرات الماديّة التي نتعلّق بها ولو كانت صغيرة.

جميعنا نشعر بالتردّد والاعتراض على وصيّة يسوع بعدم الاهتمام بالغد وبتأمين الحاجات الماديّة "لا يهمّكم للعيش ما تأكلون". من الصعب علينا التمثّل بعصافير السماء وزهور الحقل. فالبشر خليقة مسؤولة لا تحيا كفاف يومها. هو الخليقة الأضعف والأفقر عند ولادته، يُشغِل عقله، وذكاءه لسدّ حاجاته.

لكن يسوع لا يدعوا إلى التمثيل بعصافير السماء وبزنابق الحقول بل إلى التأمّل والفهم "أنظروا". فيذكّر بأن الله أب، وبأن الكون لا يقوم بالصدفة. يؤكّد بأن محبّة الآب ليست غائبة عن العالم وعن تاريخ البشر ولا عن تاريخنا الشخصي. يدعو إلى إعادة اكتشاف الثقة بالله وليس إلى عدم المبالاة، وعدم تحمّل المسؤوليّة. الهمّ يقتل ويزرع الإحباط. وعمل المسيحيّين هو إعادة زرع الثقة في هذا العالم لإعادة الراحة إليه؟

نعم، من "لا يريد أن يعمل فلا يأكل" (٢ تس ٣: ١٠)، لكن العمل ليس الغاية بذاته، إنما هو وسيلة للعيش الكريم وللمساعدة، والأهم انه ليس البديل عن حمل البشرى السارة. فبالعمل وخارج العمل الوظيفي يبقى المسيحي أولاً حامل البشرى السارة لمجتمعه. هو المسؤول عن توعية محيطه على تمييز المهم من الأهم، والتأكيد بأن الهمّ لا يساهم في تغيير شيء بل على العكس "من يستطيع إذا اهتمّ أن يزيد على قامته..."

خاتمة

في قراءته للكتاب المقدس تكمن مشكلة المؤمن في التنازع الواضح بين قناعته بأنه "ليس بالخبز وحده يحيا الانسان" (تث ٨: ٣؛ لو ٤: ٤)، وبين اضطراره للعمل لكسب عيشه (تك ٣: ١٩؛ ١ تيم ٥: ١٨)، في عالم لم يعمل كما يجب على توزيع خيرات الأرض وغناها؛ وحيث من لا يعمل يشعر بالتهميش وعدم الفائدة. لكن الحقيقة هي أن طلب الملكوت المهم الأوحد، وحده الملكوت قادر أن

ينظّم الحياة بكل أبعادها، وأن يوجّهها ويعطيها معناها وثباتها. ولا معنى لهذه الحياة إلا بالمعنى الذي يعطيه السيد القادر على إعطاء المعنى للعمل أيضاً. فإن كانت حياة غير العاملين، تبدو دون معنى ولا قيمة، فذلك ليس لأن المعنى يعادل العمل، بل لأن العمل أخذ في حياتنا مكان المعنى. وإن كان الهمّ البطّال والتشاغل بما ليس مهماً يغلب في حياتنا على أولويّة "العمل الهاديء" لكسب العيش، فذلك لأننا لم نعد نركّز على معنى ما نقوم به. المطلوب في كل زمان ومكان أن نضع سلّم أولويّات وقيم وخيارات: أطلبوا **أولاً** ملكوت الله وبرّه والباقي يُزاد لكم". إعملوا لتأكلوا، ولكن مع الانتباه إلى طلب النصيب الأوحد أولاً.